الصيادون .. ملف مثقل بالمعاناة

الصيادون الصغار.. أجور زهيدة تبتاع البراءة في عرض البحر

(الحلقة الثانية)

غادروا خارطة الفرح الطفولي وامتهنوا الصيد بين قرش البحر و"قِرْشٍ" العيش.. وقراصنة يترصدون في المياه الإقليمية

أجور زهيدة تبتاع البراءة في عرَض البحر.. لا تعبير أكثر دقة من هذا ينقل ما يجري للطفولة في البحر الأحمر، إنه استغلال الطفولة على إيقاع ظروف الفقر القسرية التي أجبرت كثيراً من أسر محافظة الحديدة على إرسال أبنائها إلى البحر.. قد يؤمن الكل بواقع الحال المعيشي، لكن المنطق يجد نفسه حائراً أمام طفل ينظر الغروب يبتلع الشمس فيوغل في امتطاء البحر دون التفكير بالخوف من الرياح وتغير الأجواء المفاجئة، ولم يعد له أي مجال للعودة لدفء المنزل، ربما لأن الغرق أولى خطوات الفرار، لذا صار عليه شرب الخوف بمُر كأساته ليسد به رمق الجوع والعطش والسهر طلباً لـ(قِرش) العيش، ومغامرة تفوق العناد أمام وحشية (قِرش) البحر وقراصنة القارة السمراء المتربصة في مرصاد الظلام وعتمة الموج الهائج.

كل الاجابة لمجمل غرابة عمالة الأطفال في أخطر مهنة تتصف بحار الموت والضياع لا تخرج عن التعبير المؤسف لاستغلال زهادة أجور هؤلاء النوارس الطرية الأجنحة أم قسوة الفاقة التي لا ترحم.. في هذا التحقيق المثقل بالوجع سنحمل أنفسنا على صبر لقراءة واقع نوارس سمراء تعتنق الشجاعة ليس من الشجاعة بل من الجهل بخوف البحر وتبعات ضياع الطفولة، وإهدار المستقبل على هامش الحاضر.. إلى سطور التحقيق...

تحقيق/ فتحي الطعامي - محمد إبراهيم

- ونحن نبحث عن أسماك طرية لتناول وجبة العشاء استوقفنا مشهد طفل يروّج السمك أمام سوق الأسماك المقابل تماماً لميناء الصيد، كان الطفل بهيئته المتعبة عبارة عن فلاش أيقظ عالماً آخر من معاناة الطفولة اليمنية لتحاصرنا أسئلة الخوف من البحر وأهواله مستغربين إن كان ثمة صيادون صغار يذهبون رحلات الصيد ببراءتهم ومداركهم المعرفية المعدومة التي لا تعي للبحر والصيد والفقر وحتى الموت معنىً، وكلما يبهجها بعد رحلة خوف في عباب البحر، غربة قاسية ورحلة طفولية لا ترى البر ولا الأسرة ولا النوم بأمان على مدار أسبوع أحياناً.. هذه الأفكار كانت الباعث الأول لفكرة هذا التحقيق عن الصيادين الصغار أو النوارس الصغيرة، فاتجهنا من أكبر مجمع تسوقي للصيادين وهو ميناء الصيد..

مشاهد السوق أو المجمع الذي يمثل محطة الفصل بين البر والبحر كانت صادمة جداً إذ لم نكن نتخيل أن يكتظ ميناء الاصطياد بالحديدة بهذا الكم الكبير من الأطفال العاملين في مهنة الصيد، فعلى رصيف الميناء وداخله وعلى القوارب تلاحظ الأطفال في كل مكان.. فهنا طفل يقوم بتنزيل قوالب الثلج الثقيلة من على السيارات أو عربيات الحمير التي تأتي بالثلج، يقوم الأطفال بإنزالها إلى قوارب الصيد وأطفال آخرون يقومون بتعبئة الديزل أو البترول داخل خزانات القوارب.. وآخرون يقومون بإخراج الأسماك من على القوارب على حراج الأسماك، وأطفال يقومون بالبيع والعمل والتوزيع.. بل إنها ظاهرة موجودة .. يقول بعض العاملين في ميناء الاصطياد إن سبب كثرة وجود الأطفال في مهنة الصيد هو قلة التكاليف المالية التي يتقاضاها هؤلاء الأطفال بخلاف الكبار وهو ما يجعل أرباب العمل يقومون باستخدامهم توفيراً للمال..

أجر بخس

يقول الطفل عبد الله 11 (سنة) أنه يأتي منذ الصباح الباكر إلى سوق السمك أي بعد صلاة الفجر مباشرة ليقوم بممارسة العمل في ميناء الاصطياد حيث يقوم بتنزيل قوالب الثلج بسعر على القالب 50 ريالاً وبعدها يقوم بمهنة تقطيع الأسماك لبعض ممن يقومون بالشراء ويظل في ممارسة عمله حتى الساعة الثانية ظهرا ..

صحيح أنني أتعب كثيراً (هكذا يقول عبد الله) لكن من أين أدبر لإخواني حق الغداء أنا هنا اجمع فلوس واحصل على بعض السمك التي أعود بها إلى أخواني (وجبة الغداء).. هذه قصة تختزل واقع معاناة أطفال الحديدة التي تشهد وضعاً أكثر ترديا، الأمر الذي دفع بكثير من الأسر والآباء للدفع بأبنائهم لامتهان أعمال هي أكبر من أعمارهم وأجسادهم على حد سواء.. أعمال ترهق الكبار فما بالك بأصحاب الأجساد الناعمة من الأطفال.. هي الحاجة تدفعهم للعمل مقابل مبالغ مالية زهيدة .. فالسباكة والـورش والتنجيد والنجارة والبناء كل تلك أعمال يمارسها بعض الأطفال ليتحصلوا من خلالها على مبالغ مالية تعين أسرهم الفقيرة.. لكن الـشيء المحزن أن بعض هـؤلاء الأطفال ممن قدر الزمان على أهاليهم بالفقر والعوز قد اتجهوا إلى ممارسة أعمال هي أقرب إلى الموت منها إلى الحياة.. خطرة على الكبار أصحاب العقول والأجساد الكبيرة فما بالك بأطفال في عمر الزهور لم يعرفوا الحياة .. إنها مهنة الصيد والاصطياد أو ما يطلق عليها البعض برحلة الموت في البحر بما تعنيه هذه الكلمة، فمهنة الصيد من أخطر المهن على الإطلاق كون العاملون فيها يتعرضون لمخاطر عدة، فالرياح العاتية والأمـواج القوية والقراصنة الأفارقة الذين يقومون باختطاف الصيادين اليمنيين والظلام الدامس والبرد القارس كل تلك أمور مصاحبة لمن يقوم بامتهان مهنة الصيد ..

أطفال في البحر

كثير هم ضحايا البحر حيث يدرك الصيادون أكثر من غيرهم أن البحر لا صاحب له - كما قالوا لنا - فكم من صياد متمكن غدر به البحر وعاد جثة هامدة.. ومع ذلك فالعديد من الأطفال يقومون بالمشاركة في مثل هذه الرحلات البحرية بحثاً عن الصيد وأملاً في حصولهم على بعض المبالغ المالية وبعض الأسماك التي تعطى لهم كهبة من أرباب المال .. فالطفل ماهر البالغ من العمر 14 عاماً دفعت به ظروف أسرته الفقيرة إلى ترك الدراسة و امتهان مهنة أبيه الذي أصبح عاجزا عن مواصلة العمل في البحر والاصطياد ..

يقول ماهر إن والده أصبح غير قادر على العمل بفعل الزمن وكبر السن والمرض وهو ما دفعه للعمل في صيد الأسماك مع أحد المعروفين في حيهم الواقع على الساحل .. مهنة يقول ماهر أنها سوف تساهم في سد بعض حاجيات الأسرة الفقيرة ..

لم يتردد ماهر من العمل في هذا المهنة بالرغم أن الأسرة والوالد يدرك خطورة العمل في البحر. يحكي ماهر عن رحلاته البحرية والتي تستمر في بعض الأحيان إلى يومين في البحر يقول (إن الرحلة نحو البحر مخيفة جداً خاصة عندما يكون الليل دامساً والقمر في أيامه الأولى حيث لا ضوء له، وهو وضع يشعرك بالخوف حيث لا ضوء ولا أحد نظل نبحث عن الأسماك من مكان لآخر في البحر ... ويـزداد خوفنا كلما اقتربنا من المياه الدولية التي يتواجد فيها القراصنة الأفارقة والذين يقومون غالباً بأخذ الصيادين اليمنيين واحتجازهم ...

ويضيف (... كل ليلة اقضيها في البحر ادعو الله أن يعجل بالفجر والنهار حتى نرتاح ويبتعد عنا الخوف .. الرياح القوية أيضاً تخيفنا وتجعلنا نعيش في رعب .. خاصة كلما تذكرنا بعض الناس المعروفين من الجيران الصيادين الذين غرقوا في البحر بعضهم شباب وبعضهم في عمري وبعضهم كبار في السن ...).

وعن البحث عن عمل آخر يقول ماهر (... على يدك ؟ إذا في عمل مناسب لكني لم أكمل دراستي والعمل الوحيد الذي أعرف اشتغل فيه هو مهنة الاصطياد ... ارجع بعد يومين من العمل وعندي مبلغ مالي لا بأس به وبعض الأسماك التي يعطينا إياها الناخوذة (صاحب القارب).

> **(516) صياداً محتجزاً في السجون والمعتقلات الأريترية بينهم (30-40) لا يتجاوز أعمارهم 20 سنة**

> **الرياح القوية ترعبنا فنتذكر من غرقوا من الصيادين خصوصاً الصغار والأيام الأولى من الشهر مخيفة في البحر بسبب انعدام القمر**

> **كل ليلة اقضيها في البحر ادعو الله أن يعجل بالفجر والنهار حتى نرتاح ويبتعد عنا الخوف**

أطفال ماتوا غرقاً

ما تزال قضية احتجاز الشاب وسيم عنتري البالغ من العمر 15 عاماً من قبل القوات الارتيرية مع بعض رفاقه حاضرة لدى العديدين من البحارة .. فالعنتري والذي تم احتجازه من قبل الإرتيريين في المياه الدولية وأخذه إلى دولة ارتيريا منذ ما يقارب 3 سنوات عجزت أسرته والتي تواصلت مع كل الجهات المختلفة وطرقت كل الأبواب الرسمية وغير الرسمية لإعادة ابنها ورفاقه إلى اليمن... والـدة محمد سليم14 (سنة) لم تتوقف عن مطالبة الجهات الرسمية ابتداءً برئيس الجمهورية وبوزير الخارجية والسفير اليمني في اريتريا وكل المعنيين في الحكومة التدخل لإنقاذ حياة ابنها والذي تم أخذه من قبل الارتيريين منذ ما يقارب العامين والنصف، تعاهد الله عز وجل إن عاد ابنها فإنها لن تدعه يمارس مهنة الصيد ما عاشت في الدنيا ويكفيها هذا الألم والحزن على فراق أبنائها كل هذه الأيام ...

محمد سليم ووسيم عنتري ليسا الوحيدين اللذين تم اختطافهما في البحر من قبل الأفارقة كما يقول الصيادون بل هناك العشرات من الأشخاص بعضهم لم يتجاوز الحلم لكن لقمة العيش والظروف الصعبة لكثير من الأسر هي التي تدفع بهؤلاء الأطفال وغيرهم للامتهان في مهنة الصيد ..

نشئ الدراسة

أغلب من التقيناهم من الأطفال العاملين في ميناء الاصطياد بالحديدة يقولون إنهم تركوا الدراسة والتحقوا بالعمل في مهنة صيد الأسماك إما في البحر أو في بيعها أو تقطيعها .. كون الدراسة لا تؤكل ولا تسمن من جوع .. يقول هؤلاء الأطفال بلسان واحد " أيش عملوا اللي تخرجوا من الدراسة أو من الجامعة!! إنهم بلا عمل أحنا فهمنا وعادحنا صغار وعرفنا طريقنا..."

كل ما يعرفه ماهر وعـلي وعبد الله الذين أتعبتهم الحياة بالرغم من نعومة أظفارهم هو البحر والأزيـب (الريح) وأماكن الصيد ومـزارع الأسماك وأنـواع السمك فهذا ديراك وذاك جحش وتلك السمكة عبارة عن هبر وهذا ديراك هندي و هامور و ... إضافة إلى معرفتهم بالقراصنة والمختطفين وبقايا مبالغ مالية زهيدة تعطى تسد حاجة أسرهم الفقيرة .. لذا فهم لا يحلمون بالألعاب الخاصة بالأطفال ولا بالحدائق ولا يتمنون النجاح في الامتحانات كونهم تركوا الدراسة أو لم يعرفوا أبواب المدارس ..

صيادون صغار في الأسر

تتحدث التقارير التابعة للاتحاد السمكي للصيادين بالحديدة عن وجود) 516 (صياداً محتجزاً في السجون والمعتقلات الارتيرية بينهم) 40-30(من الأطفال الذين لا يتجاوز أعمارهم 20سنة .. هؤلاء الأطفال تم أخذهم من المياه الإقليمية مع أقاربهم من قبل القوات الارتيرية ومن ثم أودعـوا في المعتقلات في بعض الجزر الواقعة في البحر .. ويقول أقارب هؤلاء الأطفال إن أبناءهم أجبروا على العمل في مهنة الاصطياد بسبب الظروف المادية إلا أن مشكلة الاعتقال من قبل الارتيريين قد جعلت العديد من تلك الأسر تفضل الموت جوعاً على فراق أولادهم الذين يتعرضون للضرب والاعتداء والأعمال الشاقة من قبل الجنود الارتيريين..

وتحدث العديد من أولياء أمور وآباء وأمهات المعتقلين من أنهم لا يعرفون كيف يتواصلون مع أبنائهم ولا يعرفون من أخبارهم إلا عن طريق بعض من عادوا من الاعتقال الارتـيري حيث يتحدث هؤلاء عن أوضاع مأساوية يعاني منها جميع الصيادين وفي مقدمتهم هؤلاء الأطفال الذين يجبرون على تنفيذ الأعمال الشاقة في السجون مثل تكسير الأحجار والعمل كخدم في منازل القادة العسكريين الأرتيريين .. واستغرب أهالي المعتقلين أن تصمت الدولة عما يتعرض له الصيادون وفي مقدمتهم الأطفال الذين أجبرهم الجوع والفقر والعوز على ممارسة مهنة الاصطياد..

اتساع الظاهرة

ومع تزايد تلك الظاهرة يحذر عدد من المهتمين بمتابعة مهنة الاصطياد أو من المنظمات المعنية بحقوق الطفولة .. فقد حذرت منظمة هود في الحديدة في وقت سابق من خطورة تزايد هذه الظاهرة لما لها من مخاطر على حياة الأطفال العاملين في تلك المهنة كونها من أخطر المهن التي تمارس ولما لها ما مردودات نفسية سلبية قد تؤثر على شخصية ونفسية الأطفال العاملين في تلك المهنة .. ودعت هود وغيرها من المنظمات المعنية بشأن الأطفال الدولة إلى القيام بإجراءات عملية تحد من تزايد تلك الظاهرة وتوجد حلول جدية لتلك الأسر التي تجبر أبناءها على امتهان مهنة الاصطياد في البحر بما يجعل الدولة تؤمن لتلك الأسر إعانات عادلة تغنيهم عن دفع أبنائها في تلك الرحلات البحرية التي تؤدي بحياة أطفالهم إلى النهاية ..

وتبقى ظاهرة عمالة الأطفال في البحر رهن تحسن الأحوال المعيشية لتلك الأسرة أو إيجاد أعمال مناسبة لأولئك الأطفال تبعدهم عن ممارسة مهنة الصيد وتقيهم الوقوع في تلك المخاطر ...